قصة قصيرة

الحلم والشباك

عبد الصمد حسن

ضباب معتم ينتشر بشكل دوائر مشتبكة ملامساً الشباك، في غرفة ذات اشياء كساها تراب زمن مضى. سريران بشرشفين ابيضين، اعلى احد السريرين، فوق الجدار صورة كبيرة مؤطرة، لأمرأة رائعة الجمال، وكان فراش السرير الذي علقت فوقه مهملاً، يتراكم بين تعرجاته المتموجة، حضور مكتظ للغائبة، وبين طيات الفراش اللامعة في السرير الآخر، ثمة رجل مستكين بدفء الاغطية الخفيفة، كان منصتاً لصوت متواثب غامض بين الزوايا، وشعاع المصباح في الغرفة ينفرط رماداً داخناً، ورذاذ المطر ينهمر بصوت متواتر، مرتطماً بأعراش الاشجار في حديقة المنزل في بؤرة الشعاع المغبر، تبزغ الامرأة الفاتنة بتفصيلات جسدها الانثوي، شعاعاً قادحاً بالدفء، منفرطاً في دوامة الضوء السقيم:

... (الهي! ما الذي حدث لأبصاري؟).

هتف وهو يشاهد الذي حدث امامه برؤية مضببة، وبعينين يأتلق فيهما النعاس البارد الكسول.

مطرٌ زاخرٌ بالبرد، يتساقط كما الانجم الوهمية، والغرفة تكتظ بحركة غير جلية، اذ، يتصدع الشعاع بإفراط.

ينهض الرجل في سريره، يغادره حيث السرير الآخر، مستطلعاً برؤيته غير الواضحة، حركة الشعاع المتساقط عبر اطار الصورة فوق فراش السرير الآخر. تنعشه برودة متسربة مستحوذة، فيلقي بجسده في بؤرة البياض الساطع المتفجر، كرذاذ الثلج، متدثراً برائحة الانوثة الصارمة.

...(وفيقة؟!)

يتفرس بأصابعه قبل عينيه، عبر متاهة غبار الشعاع، فترتطم بحافة السرير الساكن، وكان يشاهدها تبزغ كطائر الجليد، في ركن قصي لاتطاله الرؤية الواضحة:

... (اجل، وفيقة، امرأتك!).

ويتلقى تفرس عينيه الناظرتين بذبول اكثر مما يشاهده بين منعطفات الفراش:

...(هل اشعر بأي شيء؟ بماذا اشعر؟).

الظلام الشائك يرتطم بالشباك، وقطرات المطر الباردة تخترق الصمت الهادئ، متساقطة بإيقاع ناعس فوق الاشجار، وجلجلة الاصوات الغامضة تتلاحق بوضوح عبر مسرى الليل الثقيل. واستشعر، عبر الرؤية التي اتضحت وراء غشاوة الحلم التي ابتدأت بالانحسار، ان لذتهما السريعة، كانت متصدعة زاخرة بخوف ساخن، على النقيض من لذة اعوام اليقظة الطويلة التي انطفأت بشكل مباغت، كأفياء الماء، فعبثاً كان يلوذ احدهما بالآخر، كطائرين مبتلين، اذ انفرطت، هي، بأجنحة البرد والظلام، وكانت متسلقة عينيه، ونفذت عبر كوّة بارقةٍ حيث الشباك الموارب، وانطفأت هنالك، كنجمة وهمية.

ايقظة رذاذ المطر المتسرب، وكان عاجزاً عن أي تفسير، ممتلئاً بدهشة مستحوذة، كأنه مارس طقساً كالخطيئة، وهو ينهض في موج الظلام البارد، يغلق الشباك.

دع البندقية تبرد

علاوي كاظم كشيش

ماذا فعلت بقلب امك وقلبي
ارعبت عشب الحديقة وتركت للريح مزاميرها
منذ عشر مقابر خرجت لأفتتح الصباح بأغنيتي
وامامي ولدي الصغير
له الحق في ان يرى العصافير تغير على غيمة او شجرة
وانت تطبخ له في الشارع القادم حرباً
دع عنك هذي البندقية
وتعال الى قلب امك
كأني خرجت الى شارع من حنين لأقرأ ما فاتني من كتابي
ولكي لا اطيل عليك الحروب
وجدت من العشب والحرب ما يفيض على لغتي ويطرق بابي
اقول لولدي عانقني مثل نخلة تعبت
وطير فراشاتك حولي
اذهب الى اقرب شجرة
ولا تسألها عن الذي كان
ان للاشجار عواطف انثى
وذاكرة خضراء
كأني خرجت الآن.. على كتفي غربة الذاهبين
وفي يدي حنظل القادمين
فمن انا لكي اجعل الريح تهتف بإسمي وبإسمك
ولكي لا اطيل عليك الحروب
هاك صراحة النهر واذهب الى حيث انت
وامش معك في هذا الهاجس الحر.. مثل عشب الحديقة
دع البندقية تبرد وانتبه الى ما نسينا من الاغاني
كم حلمنا بصباح لا يتكسر مثل الزجاج
وكم طاردنا سراب القصائد
دع البندقية تبرد وعلّمني اغانيك
علمني كيف اتهجى فرحي واوقن ان في الارض اطفالاً
اتقنوا الدهشة والطيران وراء الغيوم البريئة (كانت غيومنا ... كانت ...)
من ذا يعطيني دهشة السنبلة في الحقل الفصيح
ومن ذا يجعل لقائي بأنثاي مثل ارتعاد البذور في آذار
حيث الالم والخضرة
حيث الدفء والنار خضراء
حيث دخولي في مديح الطبيعة وذهابي الى اقصى الوردة.
فارغاً من اشواكي والزوابع المطفأة
كأني خرجت الى شارع من خلود وحنين
عن يميني الفرات والاغاني عن يساري
يا الهي .. يا سيدي
هبني في هذه اللحظة حكمة الشجرة وفصاحة التراب
لكي لا تطول الحروب. لكي يخضر هذا الكتاب
وامضي الي يظللني شجر وسحاب
هي رحلة ادمى الحنين كلامها ورأيت ارضاً كسرت اعوامها

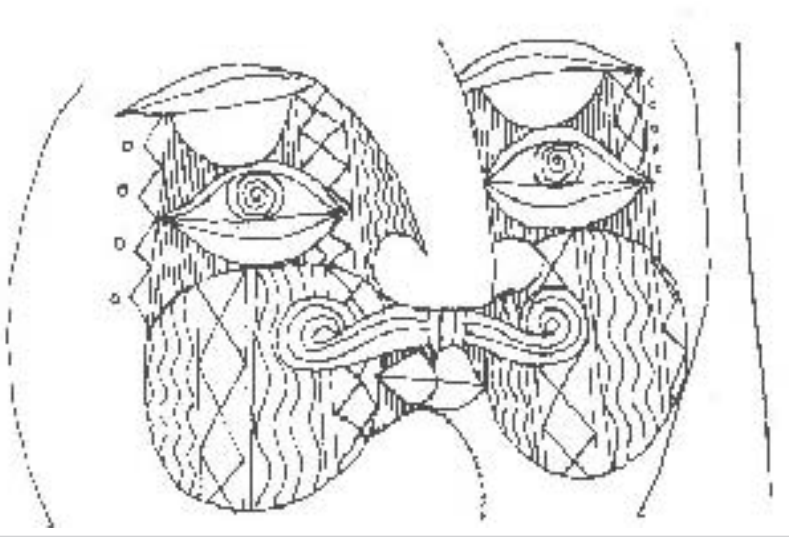

المكتبة العصرية في العمارة
٧٤ عاماً من المعرفة والمحبة

علي سعدون

ما من اديب او كاتب او مثقف في العمارة لا يوجد في قلبه وذاكرته ركن لمكتبتها (العصرية)، ثمة نسيج ما يربطك بجذورك المعرفية الاولى مصادرها واماكنها الملامح الكثيفة التي تشكل الهالة الذهبية لخطواتك الادبية البطيئة والمتلئة غنى ومعرفة وفضاءً ثقافياً ابيض عليك مثلما يحنو على الكتاب والصحيفة، والذي كان يعرفنا من الوجوه قبل الاسماء ومن الاسماء قبل الوجوه.. عندما تتعامل معه لا تستطيع الا ان تحترمه لأدبه الجم ومعرفته التي اكتسبها بحكم سنوات خدمته الطويلة .. في بداية الثمانينيات يتذكر ادباء ميسان الشباب الذين دأبوا على نشر نصوصهم في المجلات الكويتية والعربية او التي تصدر في اوربا، اولئك الذين يأخذون شارع التربية مجيئاً وذهاباً بإنتظار تلويحة العم (ابو سعد) بوصول الصحف بعد العاشرة صباحاً. انها المكتبة العصرية التي تسعى الى ان تكون النافذة الام والمرفأ الذي لا يكل دائماً وابداً.. لن ننسى عبارة الشاعر الكبير عيسى حسن الياسري في آخر زيارة له للعمارة قبل هجرته الى ثلج اوربا: انها مكتبتكم وهي واحدة من التكوين الجميل الذي يشكل ميثولوجيا المدينة.. على اية حال ما يزال ركنها في السوق المسقوف مهيباً كعادته وهي تتطلع بعين دامعة الى الخراب الذي طال ثقافة المدينة ومعمارها. التغيير الذي كان ينتظره عشرات الادباء. انها حقاً مكتبتنا التي أسست في ٥ / ١٠ / ١٩٢٩ وهو تأريخ منحها الاجازة الرسمية، هذه الوثيقة محفوظة فيها الى يومنا هذا وكأنها شاهد على الجذور الثقافية العميقة والتاريخ الطويل الذي يفصح اكثر مما يضمر.. ، اسسها المرحوم الحاج عبد الرحيم الرحماني وتعد اقدم مكتبة في المدينة، بعد هذا ماذا يمكننا ان نقول لأبي سعد وماذا يمكن ان تقول لنا المكتبة العصرية نحن الذين نلامس نبض جدرانها ورفوفها منذ امد بعيد/ تلك الجدران التي احتضنت برفق قصائدنا وحروفنا الاولى قبل اكثر من عشرين سنة.. كم وقف قبالتها العظيم الجواهري الذي عمل مدرساً في علي الغربي وكم وقف مالك المطلبي والعالم عبد المنعم الفرطوسي والبروفسور العراقي عبد الجبار عبد الله الذي اغتالته اسرائيل في الثمانينيات والكبير المهاجر عيسى الياسري وعبد الجبار الجويبراوي وحامد الياسري وكاظم غيلان وجمال جاسم امين وعبد الخالق كيطان وعلي انور الهندي وماجد الحسن وعباس داخل وآخرون كثيرون ربما لا يسعهم فصل في كتاب.. قبل ان اسأل العم ابو سعد تساءلت مع نفسي: هل ما زالت قضية نشر مادة في جريدة مرموقة تشعل صاحبها من رأسه الى اخمص قدميه فرحاً وتحقيقاً للذات الجنوبية المسحوقة بفعل السياسات الغبية منذ ٥٠ عاماً .. هل ما زال الامر كذلك في وقت صار فيه النشر اتفه من شراء جوارب صيفية رديئة الصنع!.. سياسة التتفيه الثقافي هذه من المسؤول عنها في زمن النظام السابق.. ومن المسؤول عنها الآن.. من يسمي القائمين على النشر الثقافي ومن يسوغ لهم عمليات التخريب الضخمة التي يمررونها بخلط الاوراق البيض بالرمادية والسود بالفاقعة..؟؟ لن يصدق احد ان هذا الامر غير مقصود.. على أية حال كل ذلك تشهد عليه المكتبة العصرية الخالية من الكتب والروايات التي كانت تشبع نهمنا الاول.. ايام كانت القراءة تدفع بك الى شيء بدءاً من جريدة الوقائع وانتهاءً بمجلة سومر لـ (طه باقر)..

حاورت السيد حيدر (ابو سعد) الذي اشرف على ادارتها منذ الخمسينيات، هذا الرجل العصامي الذي يفتخر بأنه عمل بائعا متجولاً للصحف يجوب المدينة بدراجته الهوائية على امل الحصول على قارئ هنا او هناك.. استطاع ان يكمل دراسته الاعدادية في الدراسات المسائية وينهي الفرع الادبي عام ١٩٦٦ ولم يستطع اكمال دراسته الجامعية بسبب الظروف المادية وبعد الجامعات عن العمارة.. انه شخص ودود يتبادل المحبة مع قرائه الذين يوفر لهم ما يحتاجون دون ملل، يحيطون به قراء (العشت) مشكلين حول مكتبه زحاماً شديداً.. انه كتبي بحق.. اسأله بعد ان ادعو له بالعافية وطول العمر: ان موقع محلك يصلح لممارسة اعمال تجارية اخرى قد تدر عليك ربحاً اوفر فيجيبني: لا استطيع ان اترك عملي ولا افكر في أي عمل آخر.

وعندما اشير الى ان المكتبة خالية من الكتب وصارت محلاً للقرطاسية وبيع الصحف فيتأمل ويجيب: (يا ولدي انه الزمن.. فالكاتب كان ممنوعاً ولا تستطيع ان تتداول كل شيء وقائمة الممنوعات تطول ومثلما كنت اخاف على نفسي فإني اخاف على القارئ فإضطررت على الاقتصار على بيع الصحف والقرطاسية مع البعض القليل من الكتب وان شاء الله ستستعيد المكتبة عافيتها في العهد الجديد!..) يقول ذلك ويشير الى غلق المطبعة الرحمانية منذ وقت بعيد بسبب مضايقات الامن ايضاً.. ابو سعد ذاكرة المدينة وعندما اقول ذاكرة فإنني استحضر على الدوام اطلاعه على مجمل ما يكتب قدر توفر الوقت واهمية المادة.. اتذكر احياناً انه كان ينبهنا الى اهمية بعض الاصدارات وكنا نأخذ برأيه ونعرف بعدها مدى جدية ومعرفة هذا الرجل.. احاول ان اعرف ابرز جلساء مكتبته فيقول ان القائمة طويلة وعندما الح في السؤال يجيب: (نعم يبقى في الذاكرة من له حدث معين، فما زلت اذكر الشاعر الكبير الجواهري الذي كلفني ان اجلب له القراءة الخلدونية ليعلم الاطفال القراءة والكتابة عندما كان في منطقة علي الغربي.. ومن جلساء المكتبة العلامة الشيخ عبد الجبار الساعدي الذي نشر قصيدة غزل في المكتبة ونشرها في جريدة العدل النجفية في حينه.. وبقي في الذاكرة من استشهد من المثقفين ومن هاجر منهم خارج العراق (الرحمة للشهداء) والشكر والتقدير لأصدقائنا في المهجر الذين يبعثون لنا التحيات وبعضهم زار المكتبة عندما زار العراق ومنهم قاسم السهلاني عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة لقد جاءوا الى العمارة بشوق ولهفة وهم يسلمون علي بحب وشغف وبذكريات الوفاء، انهم كثيرون بعضهم تألم حين راى المكتبة خاوية وخالية وتذكر الكتب التي اشتراها مني ولكني بعثت فيهم الامل على اعادتها بهمة اكبر بعد ان ازيلت الغمة عن الوطن). وعندما سألته عن الكتب الاكثر رواجاً يرد علي بلباقته المعتادة: (الآن وسابقاً كانت الاولوية للكتاب الديني وقد حققت كتب السيد الشهيد محمد باقر الصدر في حينها المرتبة الاولى (فلسفتنا، اقتصادنا، الاسس المنطقية للاستقراء) ثم جاءت بعدها كتب الدكتور علي الوردي، ثم الكتب الادبية بمختلف انواعها). بقي ان اشير الى ان العم ابو سعد يقوم بعرض كتب ادباء وكتاب المدينة وبيع مؤلفاتهم بلا مقابل وبمحبة فائقة .. ابو سعد او المكتبة العصرية المنتصبان في صدر السوق المسقوف.. كشاهدان على ثقافة هذه المدينة وتاريخها المعرفي والفكري الهائل.. ماذا يمكنني ان اقول لهما.. وما الذي يمكنهم ان يقولوه ازاء هذا الوجع الذي يدفع بالمدينة كلها تاريخها ووقائعها المعرفية الى منطقة ذهبية في الذاكرة.. هل يمكنني الآن ان اسمي المها واقترح عليها املاً قادماً.. ربما.. هكذا ننظر الى ميثولوجيا المدينة او المملكة كما يشير التاريخ البهي لها وهي توغل بالمحبة والفكرة والشعر..

اترك المكتبة العصرية الام وادخل سوق العمارة المسقوف - او السوق الوحيد- الذي لا يبعد اكثر من مئة متر عن دجلة الخالد.. السوق العتيق هذا والذي تحتضن اضلاعه بعضها البعض تأكيداً لرسوخ وبقاء وخلود الاشياء العظيمة في العمارة..

فرنسا والاحتفاء بديكارت
عينان ثعلبيتان وسيماء ساخر وفلسفة باتت موضوعاً شعبياً

ترجمة/ زينب محمد

تستعد فرنسا للاحتفال بالرجل الذي فكر وكان لذلك موجوداً فأصبح عنوان الثقافة والفكر الفلسفي الفرنسي.. رينيه ديكارت المولود في الحادي والثلاثين من آذار عام ١٥٩٦ والذي احتفلت فرنسا في عام ١٩٩٦ بذكرى مرور اربعمئة عام على ولادته وعدته عام ديكارت،

وعلى الرغم من مرور اكثر من اربعة قرون على ولادته لا تزال فرنسا تحتفي بمفكرها في كل المناسبات ولا يزال الفرنسيون يحبون ان يعتبروا انفسهم كارتيين اصحاب فكر صاف وعقلانيين على نحو هادئ مع ان ديكارت امضى فترة شبابه خارج فرنسا تجنباً للمشاكل مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واللاهوتيين المتمكنين في السوربون، وكان ديكارت يقول (لكي تحيا بصورة جيدة عليك ان تعيش بعيداً عن الانظار).

انجز ديكارت معظم اعماله في هولندا واضعاً الاساس لعلم معاصر ليؤشر بذلك نقطة التحول بين الفلسفة المعاصرة وفلسفة القرون الوسطى. فلو كان فلاسفة القرون الوسطى يهتمون باكتشاف كم وجهة نظر يمكن ان ترقص على رأس قلم، فإن ديكارت شرع بإيجاد الاجوبة عن اسئلة فلسفية اساسية ترقى الى عهد افلاطون وارسطو من قبيل: ما القضية ؟ وما العلاقة بين العقل والجسد؟ وفوق كل هذا ايمكن لشيء ان يعرف على وجه اليقين؟

صاغ ديكارت اسلوبه في الفلسفة الذي يقوم على رفض اية فكرة واردة او معتقد يمكن ان يوجد بشأنه ولو ظل من الشك، لكن بعد هذا هل يبقى يقين؟ نعم، فقد وضع ديكارت البرهان على ان فعل التفكير يجعل المرء عارفاً بوجوده بوضوح فكانت مقولته الفلسفية المشهورة (انا افكر اذاً انا موجود) .

ومن هذه القاعدة الصغيرة انطلقت ملايين الافكار الانسانية والفلسفية ومنها اعتقد ديكارت ان بإستطاعة الانسان ان يعزّز المعرفة الموثقة والموثوقة بشأن الرب وبشأن العالم وان يرتاب بكل ما يأتي من الوعي او الاحاسيس والحواس معتمداً على قوة العقل المعبر عنها بلغة الرياضيات، وكانت كما قال اندريه غلوكسمان، احد المعجبين الفرنسيين بديكارت (فلسفة الوعي الطيب) ويقيم غلوكسمان في كتابه المعنون (ديكارت هو فرنسا) الدليل على ان الفيلسوف هو احد القلائل الذين ظلوا يصنعون الوعي في عصر حروب غاب فيه الوعي وظلت المجازر والمذابح.

عكس كل من مونتين وديكارت في غمرة الحرب والارهاب بداية الحالة المعاصرة، وقال غلوكسمان مرة، لقد وضع ديكارت طبيعة العالم المقدسة موضع الشك، احدهم يقتل بإسم الخير او بعكسه، الا ينبغي ان نستفهم عن ذلك؟ ويدعونا ديكارت الى ان نعيش بتواضع اكثر وبوحشية اقل، ويوضح لنا اننا مسؤولون عن اخطائنا ونحن قادرون على السيطرة عليها، ويتذرع بعضهم بأن شك ديكارت مسؤول عن ضياع الروحانيات، ويقول الفيلسوف الكاثوليكي جاك مارتيني ان الديكارتية مجرد فن تناول الاشياء على حدة واعادت وضعها سوية مرة اخرى ويصبح التفسير الآلي التفسير العلمي الوحيد الذي يمكن تصوره.

ان المنهج المنطقي والعقلاني الديكارتي الذي استمد اصوله من اليسوعيين ينسجم مع الفرنسيين الذين وضعوا الرياضيات والعلوم قاعدة في مدارسهم وجامعاتهم، ولم يكن ابداً مشهوراً كشهرته عبر القنال الانكليزي حيث تقوم الفلسفة وكثير من الاشياء على البراغماتية اكثر من العقل. وفي فرنسا تنظم الجامعات والمدن والمتاحف والمعارض والمؤتمرات والحلقات الدراسية احتفاء بهذا الرجل كما تنظم السوربون دائماً دورات للتعريف بالفكر الديكارتي، اما الجامعات والمؤسسات في وسط فرنسا - مكان ولادة ديكارت- فتنظم سلسلة من النشاطات منها مناظرة فلسفية بين (٤٨) مدرسة ثانوية تابعة للمنطقة.

ولاتزال الفلسفة الجادة تدرّس في كل مدرسة فرنسية وتصبح فلسفة ديكارت موضوعاً شعبياً ان شئت على نحو متزايد كلما ابتعد ديكارت عن العالم وغاص في العالم الآخر، ربما لأن العديد من الناس يبحثون في المجتمع الدنيوي الواسع عن معنى للحياة وقد لا يجدونه الا في فلسفة ديكارت.

وتنشط مجموعات النقاشات الفلسفية في مقاهي فرنسا العتيدة والانيقة بينما حقق كتاب جوستين غاردر (عالم الفلسفة) افضل المبيعات هذا العام ويخطط الناشرون لطرح مجموعة كبيرة من عناوين جديدة حول ديكارت والزوايا البعيدة والمختفية في افكاره الفكرية ويقولون ان من الصعب ايجاد شيء جديد للطبع، لكن السيرة الذاتية الحديثة التي وضعتها جنيفيف رودس - لويس، الاستاذة في السوربون - اوضحت انه لا يزال هناك الكثير مما يقال عن هذا الذي يحظى بخصوصية وبتفرد كبيرين بين العظام.

ومن صوره الشخصية نستطيع ان نعرف كيف يبدو ديكارت بعينيه الثعلبيتين وسيمائه الساخرة قليلاً، وافقه الكبير وشعره الاسود الطويل، وشاربه ووجه الغالي (نسبة الى بلاد الغال - فرنسا قديما)، ومن خلال كتاباته نعرف بماذا كان يفكر، لكن كيف كان كشخص؟ كأنسان؟ هذا ما اخبرتنا عنه روديس لويس في سيرة ديكارت الذاتية، فقد كان هناك كرمه اولاً، اذ ساعد ديكارت خادمه الذي اصبح في ما بعد عالم رياضيات من الدرجة الاولى، وصانع احذيته الذي اصبح عالم فضاء، وكان ديمقراطياً، وكتب باللغة الفرنسية لأنه اراد ان يصل الى جمهور عريض يشمل النساء ايضاً اللاتي لم يتعلمن اللاتينية ولم يعرفنها- كان مولعاً بابنته فرانسين وقد دمره موتها وهي في عامها الخامس، كان يحب ان يستلقي في سريره صباحاً ويفكر/ جربوا ذلك، سيكون ذهنكم صافياً، وستأتيكم ارقى الافكار/ او ان ينهض مبكراً جداً - من الخامسة فجراً ليعطي دروساً في الفلسفة للملكة السويد - كريستين - ٢٣ عاماً. وقد اضرّ به ذلك بل قتله، فقد توفي بذات الرئة وهو في الرابعة والخمسين من العمر، ودفن ديكارت وبسخرية غير متعمدة في مقبرة ستوكهولم وهي مقبرة للاطفال الذين يموتون قبل سن الرشد، واعيد رفاته الى فرنسا في عام ١٨١٩، ودفن في كنيسة/ سان جيرمان دي بريه، وفي قلب الحي اللاتيني في باريس.. ووصل رأسه بعد عدة سنوات وسرقة احد المعجبين وبيع مرات عديدة قبل ان يستقر في (متحف الانسان) في باريس، لكن اذا ما قدمنا معتقد ديكارت القائم على ان العقل والجسد كيانات واضحة غير مشكوك فيها فإن الجثة ليست جثة ديكارت الحقيقي الذي كان موجوداً فقط عندما كان يفكر.

هكذا هي شهرة ديكارت في الشك وغالباً ما ننسى ان ديكارت بدأ برنامجه الفلسفي ليحارب الشكوكيين امثال مونتين الذين اعتقدوا بأن معرفة اليقين بعيدة عن متناول الانسان وان العلم كان مستحيلاً وكان حجة على الكنيسة ايضاً التي قالت ما دام الانسان لا يستطيع معرفة شيء على وجه اليقين فعليه في الحقيقة ان يعتمد على الايمان.

ومما نقرأ عن فلسفة ديكارت ان ديكارت يرى ان البحث في المنهج هو اهم المشكلات اوالاها بالعناية في مهمة الفيلسوف مستعيناً بذلك النور الفطري المبثوث فينا جميعاً وهو نور العقل ولاحظ ديكارت تخبط الفلاسفة وسيرهم على غير هدى وقال ان الانسان اذا لم يكن من قبل منهجاً يسير على قواعده في الفكر والحياة لم يصل الى الحقيقة، ويعني ديكارت بالمنهج قواعد مؤكدة وثابتة فلسفيا اذا راعاها الانسان مراعاة حقيقية كان في مأمن واستطاع ان يصل بذهنه الى اليقين في كل ما يستطيع معرفته، والفلسفة كما يراها ديكارت تعتمد المنهج الرياضي لتمتد الى الكثير من المعارف البشرية وهذه المعارف بدورها ليست الا استعمال العقل استعمالاً حسناً، ويدل كتابة المقال في المنهج لأحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم على ان ديكارت لم يكن يضع منهجاً يقتصر تطبيقه على الرياضيات بل على كافة العلوم.

وفي كتابه (قواعد لهداية العقل) نقرأ احدى وعشرين قاعدة ويعتبر هذا الكتاب اعمق واروع رسالة منطقية عرفتها الفلسفة ثم اجملها في اربع قواعد نستطيع تطبيقها في حياتنا وفي تفكيرنا وتصرفنا وهي عدم تلقي أي شيء على انه حقيقي ما لم يتبين بالبداهة انه كذلك تفادياً للتعجل وعدم التعلق بالاحكام المسبقة، وان لا ندخل في احكامنا الا ما يتمثله العقل بوضوح وتميز يزول معهما كل شك، وان نقسم كل واحدة من المعضلات التي نبحثها وبمقدار ما تدعو الحاجة الى حلها على احسن وجه، وترتب افكارنا ونبدأ بأبسط الامور وايسرها معرفة وصولاً الى معرفة الاكثر تعقيداً، ان نعمل احصاءات كاملة ومراجعات وافية ما يجعلنا على ثقة بأننا لم نهمل شيئاً يتصل بالمشكلة المعروضة للبحث.

وهكذا قرر ديكارت ان يرفض جميع المذاهب الفلسفية القائمة وان يشك في كل ما تعلمه من قبل مصمماً على ان يبدأ النظرية من جديد لعله يجد اصولاً اخرى يقينية تصلح اساساً لكل معرفة ممكنة، فالشك خطوة اولى في التأمل الفلسفي لأنه يفضي الى المبادئ فيكون الطريق سالكاً الى اليقين الفلسفي.

عن/ نوفيل ليتيرير